نظمُ الجمان

في بيان أنّ حفظ السنة كحفظ القرآن

جمع و ترتيب
أبي يحيى عبدالحليم محمد عبدالحليم

شوال ١٤٤٥هـ

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له ،

و أشهد ألا إله إلا الله ، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله

أما بعد

فإن خير الكلام كلام الله و أحسن الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ،

و شر الأمور محدثاتها و كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار..

و بعد، فهذه رسالة صغيرة في توضيح حقيقة مهمة ، ألا وهي أنّ السنة النبوية محفوظة كحفظ القرآن الكريم..

والداعي لنشرها هو وجود بعض الفئات من المسلمين تشكك في ذلك و ترد الأحاديث النبوية بسبب عدم الإيمان بذلك !

فالله أسأل أن ينفع الله بقراءتها و أسأله أن يجعلها في ميزان حسناتي و حسنات من ينشرها و يطبعها..

أبو يحيى عبدالحليم محمد عبدالحليم
شوال 1445 هـ

إنّ من المعلوم بالضرورة عند المسلمين أنّ القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له..

و الدليل على ذلك عندنا قوله سبحانه:

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر ٩]

فأمة الإسلام أهل السنة و الجماعة متفقون على أن القرآن الكريم محفوظ بنص هذه الآية فهو الكتاب المنزّل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم و قد وصف الله القرآن بالذكر في عدة آيات منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت ٤١] و لم يشكك في حفظ القرآن الكريم ممن ينتسبون إلى الإسلام إلا الرافضة و ادعوا أنّ عندهم مصحف لفاطمة رضي الله عنها فيه ماليس في مصحف المسلمين المعروف.. و القائل بذلك منهم كافر عند أهل العلم.. و الرافضة كذلك يردون الأحاديث النبوية الموجودة في كتب أهل السنة.. لأنهم لا يقبلون القرآن و الحديث إلا من رواية رجالهم فقط.. و لعل هذا أول ما جرّأ بعض المنحرفين من غير الشيعة الروافض إلى الجدال في شأن الأحاديث النبوية..من المعتزلة و غيرهم.. فظهر من بعض الناس من يقول: الأحاديث ليست محفوظة و إنما المحفوظ القرآن الكريم فقط !

و قاد ذلك لظهور فئات منن المسلمين تطعن في حجية السنة أو تقلل من درجة قبولها مشككين في ثبوتها.. مع أن هنالك قواعد يحكم بها العلماء على الروايات من حيث الثبوت و عدمه ..

و عند هؤلاء المشككين شبهتان:

الأولى:استدلالهم بالآية التاسعة من سورة الحجر المذكورة أعلاه.. فيحصرون معنى كلمة (الذكر) على القرآن الكريم. و هذا لأنّ الله سبحانه ذكر أنه نزّل الذكر و هذا دليل على أنّ المحفوظ هو ما نزل من عند الله.. و يقولون أما الأحاديث فهي كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فهي لم تنزل من عند الله بزعمهم!

الثانية: يقولون أن الأحاديث ليست محفوظة و الدليل أنّ منها الصحيح و منها الضعيف و الموضوع.. و حتى الصحيح لا يسلّم بصحته إذا تعارض مع القرآن !

و قد أدى ذلك ببعضهم إلى رد أحاديث صحيحة بناءاً على تلك الحجج.. و قد أدى ذلك أيضاً إلى ظهور فرق قديماً و حديثاً تسقط السنة النبوية بالكلية.. أو فرق تفرق بين أحاديث الآحاد و غيرها.. فلا تقبل الآحاد في مسائل العقيدة..أو على الأقل تنكر أموراً ثابتة بالأحاديث النبوية و لكنها غير مذكورة في القرآن بزعمهم.

و قد أفرد الشيخ الألباني رحمه الله كتاباً في الرد على شبهة التفريق بين الاحتجاج بحديث الآحاد و المتواتر سماه (وجوب الأخذ بحديث الآحاد..) ...و ألف كذلك كتاباً في حجية السنة النبوية سماه (الحديث حجة بنفسه) و هما كتابان لا يستغني عنهما طالب العلم.. و الراغب في معرفة الحق في هذه المسائل .

و أنا سأتوسع قليلاً في هذه الرسالة في الرد على تلك الحجج التي ظن البعض بسببها أن حفظ الله سبحانه يكون للقرآن وحده دون الأحاديث.. و كما سنرى فهي في الحقيقة شبهات و ليست بحجج محكمة ..

الشبهة الأولى : أنّ الذكر المذكور هو القرآن

فأقول في الرد عليها مستعيناً بالله:

أولاً:

لا شك أن القرآن الكريم هو أعظم الذكر فهو كلام الله سبحانه، و قد ذكر سبحانه أنه قد أنزل القرآن ليتذكر به أولو الألباب فقال عز وجل: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلۡنَـٰهُ إِلَيۡكَ مُبَـٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ﴾ [ص ٢٩]

و أنه سبحانه يسره ليتذكر به عامة الناس فقال عز و جل:

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر ١٧]

و لكن هل هذا يعني أنّ القرآن فقط هو الذكر؟ !

الإجابة : لا..

فقد وصف الله غير القرآن أيضاً بالذكر.. و من ذلك قوله سبحانه عن اللوح المحفوظ - كما فسره عدد من المفسرين- : ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء ١٠٥] و فسره آخرون هنا بالتوراة و معلوم أنّ التوراة قد استحفظ الله سبحانه أهل الكتاب بحفظها و لم يتكفل سبحانه بحفظها.
و سمى الله سبحانه العلم بالذكر فقال عزّ و جلّ:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل ٤٣]

و سمى الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم بالذكر فقال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف ٤٣-٤٤]

و هذا يدلّ بوضوح على أنّ كل ما أوحي به للنبي صلى الله عليه وسلم فهو ذكر.. و قد شهد الله سبحانه أن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالشرع كلها وحي فقال عز وجل :
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم ٣-٤]

و بالتالي فسنة النبي صلى الله عليه وسلم القولية و هي الأحاديث القدسية و غيرها هي من الذكر لقوله تعالى عن الوحي ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف ٤٣-٤٤]

و قد أشار الله سبحانه للوحيين القرآن و السنة النبوية في عدة آيات من كتابه فسمى السنة بالحكمة في آيات منها قوله تعالى : ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٤]
روى ابن جرير عن قتادة أي: السنة، قال: يمتن عليهم بذلك.) و سماها بالذكر مشاركة للقرآن في صفة الوحي كما سبق في آية الزخرف.

و سماها بالذكر في مقام تبيين القرآن فقال سبحانه :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل٤٤].

قال السمعاني [٤٨٩هـ] -رحمه الله- في تفسيره :

"قَوْله: ﴿وأنزلنا إِلَيْك الذّكر لتبين للنَّاس مَا نزل إِلَيْهِم﴾ . وَقد كَانَ الرَّسُول مُبينًا للوحي، وَقد قَالَ أهل الْعلم: إِن بَيَان الْكتاب فِي السّنة. وَقَوله: ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ يَعْنِي: يتدبرون ويعتبرون."

و قال ابن عطية [٥٤٦هـ]-رحمه الله- في تفسيره:
" و"الذِكْرَ" في هَذِهِ الآيَةِ القُرْآنُ. وقَوْلُهُ: "لِتُبَيِّنَ" يُحْتَمَلُ أنْ يُرِيدَ: لِتُبَيِّنَ بِسَرْدِكَ نَصَّ القُرْآنِ ما نَزَلَ، ويُحْتَمَلُ أنْ يُرِيدَ: لِتُبَيِّنَ بِتَفْسِيرِكَ المُجْمَلَ وبِشَرْحِكَ ما أُشْكِلَ مِمّا نَزَلَ، فَيَدْخُلُ في هَذا ما بَيَّنَتْهُ السُنَّةُ مِن أمْرِ الشَرِيعَةِ، وهَذا قَوْلُ مُجاهِدٍ."

قلت:
و بما أنّ الله سبحانه تعهد بحفظ ما سماه بالذكر فهذا يعني أنّ حفظ الله سبحانه ليس فقط للقرآن الكريم و إنما لكل ما هو من الذكر المرتبط بالإسلام و يستثنى من ذلك الكتب المنزلة قبل القرآن.

و لو أراد سبحانه أن يتعهد بحفظ القرآن وحده لكانت الآية (نزلنا القرآن) و لكنها جاءت شاملة (نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ).

و أولى ما يدخل في الحفظ بعد القرآن هو السنة النبوية لأنّ الله سبحانه قرنها بالقرآن في عدة مواضع باسم الحكمة كما سبق و لأن النبي صلى الله عليه وسلم قرنها بقوله : (ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه).

ثم يدخل في الذكر المحفوظ أقوال الصحابة و إجماعهم و اختلافهم و غير ذلك من علوم الشريعة التي جعلها الله سبباً لمعرفة قراءة القرآن أو طريقاً لفهمه، و هذا كله في مجموعه لا يقوم العلم بالدين إلا به و ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب و إن لم ينص عليه.. فهذا جليّ لكل من تدبر!. و لذلك سمى الله سبحانه العلم كله بالذكر فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل ٤٣] .

ثانياً:
مما اشتبه على الذين يحصرون الحفظ على القرآن الكريم فقط أنّ الله سبحانه تعهد بحفظ ما أنزله و يزعمون أنه لا يوجد دليل صريح في القرآن و لا في السنة أن الأحاديث أنزلها الله كما أنزل القرآن!

و الرد على ذلك كالآتي:

- ما ذكرت سابقاً فإن السُنّة وردت في القرآن بلفظ الحكمة، و من الآيات التي تدل على أنّ السنة منزلة من عند الله قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيما﴾ [النساء ١١٣]. و هذه آية صريحة.

- جاءت آية تبيين الذكر و هي قوله تعالى :﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل ٤٤] بعد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل ٤٣] مما يدل بوضوح على أن الذكر المنزل هو الذكر المذكور قبله في الآية و الذي هو كل ما يصدق أنه علم قائم على الوحي كالقرآن و الحديث النبوي و السنة الفعلية و التقريرية جزماً..و معلوم أن الوحي كله تنزيل من رب العالمين.

- جاء ذلك صراحة في أثر عَنِ الأَوْزَاعِيِّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيّة - أحد التابعين من ثقات الشاميين - قَالَ: (كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله وسلم- بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ) [رواه الدارمي و صححه ابن حجر في الفتح].

و هذا أثر مهم في بابه لأنه لا ريب أنّ معناه - إن لم يكن لفظه كذلك- مأخوذ من الصحابة رضوان الله عليهم الذين أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.. و هو أثر صريح أن السنة النبوية أنزلها الله سبحانه.. فإذا عُلم هذا.. فهذا يعني أنها تدخل في قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر ٩] فالآية فيها تعهد بحفظ الذكر المنزل من عنده.. و هذا دليل صريح أن الحفظ ليس مقصوراً على القرآن الكريم وحده و إنما هو شامل للسنة النبوية بكل أشكالها قولية كانت أو فعلية أو تقريرية..

ثالثاً:

إذا حُصر معنى كلمة الذكر في القرآن فقط في قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر 9] اعتماداً على تفسير بعض المفسرين..
فحينئذ تدخل الأحاديث النبوية في الحفظ من باب لحن الخطاب و هو ما كان المسكوت عنه مساوياً للمنطوق به.. و ذلك لاشتراك القرآن و السنة في علة الحفظ.. و علة الحفظ هي أن هذا

الدين هو الدين الخاتم و هذا القرآن هو الكتاب الخاتم و لا وحي بعده.. فتكفل الله بحفظه إلى يوم القيامة و كذلك حفظ سبحانه السنة النبوية لأنها سنة خاتم الأنبياء و لا نبي بعده عليه الصلاة والسلام.. و قد أشار النبي صلى الله عليه وسلم للتماثل بين القرآن و السنة بقوله:
(ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه) [صحيح]
و كذلك تدخل السنة النبوية في الحفظ من باب فحوى الخطاب و هو ما يسمى بقياس الأولى.. و ذلك لأنّ ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب.. و المقصود أن القرآن لا يفهم بغير السنة النبوية و بالتالي لابد من حفظ المبيَّن و هو القرآن و المبيِّن و هو السنة النبوية .. و هذا يفهم عقلاً.. فمثلاً: حفظ الله سبحانه لأحاديث الصلاة و كيفيتها لا يقل و ربما يكون أولى من حفظ آيات الأمر بالصلاة المذكورة في القرآن الكريم.. و كلاهما وحي من عنده سبحانه.. و مثل الصلاة كثير ..

الشبهة الثانية: أن الأحاديث منها ما هو ضعيف و موضوع.

و الرد على هذه الشبهة كالآتي:

- وجود روايات ضعيفة لا يعني عدم حفظ الله. ذلك لأنه وجدت قراءات ضعيفة و شاذة للقرآن نفسه و هنالك قراءات تفسيرية و لكنها لا تعتبر من القرآن.. إذ أنّ شرط القرآن أن تكون القراءة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم.. و لذلك هنالك قراءات متواترة للقرآن؛ قال الدكتور مناع القطان رحمه الله:
" واستخلص بعض العلماء أنواع القراءات فجعلها ستة أنواع:

الأول- المتواتر : وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه ، وهذا هو الغالب في القراءات.
الثاني- المشهور : وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر ، ووافق العربية والرسم ، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ، ولا من الشذوذ ، وذكر العلماء في هذا النوع أنه يقرأ به.
الثالث- الآحاد : وهو ما صح سنده ، وخالف الرسم ، أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور . وهذا لا يقرأ به ، ومن أمثلته ما روي عن أبي بكرة : " أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قرأ : " متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان " . وما روي عن ابن عباس أنه قرأ : لقد جاءكم رسول من أنفسكم - بفتح الفاء. "
الرابع- الشاذ : وهو ما لم يصح سنده . كقراءة " ملك يوم الدين " ، بصيغة الماضي . ونصب " يوم. "
الخامس- الموضوع : وهو ما لا أصل له
السادس- المدرج : وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير ، كقراءة ابن عباس : " ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج ، فإذا أفضتم من عرفات " ، فقوله : " في مواسم الحج " تفسير مدرج في الآية.
والأنواع الأربعة الأخيرة لا يقرأ بها) [مباحث في علوم القرآن]

قلت: و عندما يقال أن القرآن قطعي الثبوت فيعنى بذلك المتواتر منه و هو الموجود في مصحف عثمان رضي الله عنه فكل ما فيه متواتر قطعي في ثبوته.. و كذلك من السنة النبوية ما هو قطعي الثبوت و هو المتواتر من الأحاديث.. و منهما ما هو ظني الثبوت و هو الغالب و هو ما لم يتواتر..

و لكن حتى ظني الثبوت مما نزل عن درجة التواتر إذا كان صحيحاً في إسناده فهو ملزم للأخذ به سواء من القرآن أو من الحديث النبوي و لكن الفرق فقط أنّ مالم يتواتر من القرآن يكون تفسيرياً يلزم اعتباره و لا يقرأ به و لا يجزم بأنه كلام الله بلفظه..
أما الصحيح أو الحسن من الأحاديث فالتعبد به ليس بالتلاوة و العمل معاً كالقرآن الكريم، و إنما بتطبيق ما تضمنه من أحكام و لذلك وجدت قواعد إضافية و درجات إضافية و تفصيلات خاصة بقواعد الحديث.. فجعل الحديث الصحيح على مراتب أعلاها المتواتر و قد يكون المتواتر موجوداً في الصحيحين و غيرهما.
ثم يتلو ذلك في الصحة أحاديث الآحاد و أعلاها صحة ما اتفق عليه البخاري و مسلم ثم ما انفرد به البخاري ثم مسلم ثم ما كان على شرطهما ثم ما كان على شرط البخاريّ ثم ما على شرط مسلم ثم ما كان صحيحاً عند غيرهما ثم ما كان حسناً لذاته ثم ما كان حسناً لغيره ..

- حفظ الله سبحانه سواء للقرآن الكريم أو السنة النبوية قد تم بتسخير الله لأسباب و أشخاص.. فسخر سبحانه في البداية رسول الله صلى الله عليه وسلم لحفظه فجمع له القرآن في عقله و صدره ثم سخّر القراء من أصحابه رضي الله عنهم لحفظ ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه و كذلك سخّر سبحانه كتبة الوحي من الصحابة رضوان الله عليهم، ثم سخّر أبابكر الصديق رضي الله عنه فجمع القرآن الجمع الأول، ثم سخّر سبحانه عثمان رضي الله عنه فجمع القرآن كله في مصحف واحد، و سخّر من فسره و علم تأويله كابن عباس و علي و ابن مسعود و غيرهم رضي الله عنهم.. ثم سخر من جمع تفاسيرهم و رواها عنهم كابن جرير غيره.. و سخّر سبحانه من نقّط القرآن و من شكّله.. و لا يزال يسخر من يطبعه في أفخر و أجمل الطبعات.. و سخر في زماننا من يجعله في الانترنت و من يجعله في تطبيقات حاسوبية و نقالة.. و كل ذلك من حفظه سبحانه للقرآن الكريم..

قال الواحدي [٤٦٨هـ]- رحمه الله- في تفسيره:
"فإن قيل: لم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في الصحف، وقد وعد الله حفظه، وما حفظه الله فلا خوف عليه؟
الجواب أن يقال: جَمْعُهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله إياه، ولما أراد حفظه قيضهم لذلك)اهـ

قلت : و نجد ذلك منطبقاً على السنة النبوية القولية من أحاديث و أحاديث قدسية و على سننه الفعلية و التقريرية ..

فقد جمع الله سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم السُنّة و ألهمه ألفاظها كالأحاديث القدسية و ألهمه معانيها فقال بعضها لفظياً كالأحاديث النبوية العادية و فعل بعضها عملياً و أقر بعضها إقراراً ..

ثم سخّر الله سبحانه الصحابة الرواة رضي الله عنهم فحفظوها فكان منهم المكثر و واسع الحفظ كأبي هريرة رضي الله عنه و كان منهم المقل في الحفظ و الرواية.. ثم سخّر سبحانه من يكتب من الصحابة كما صح عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال :
(كنتُ أكتُبُ كلَّ شيءٍ أسمَعُهُ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أُريدُ حِفْظَهُ، فنهَتْني قريشٌ، وقالوا: أتكتُبُ كلَّ شيءٍ تسمَعُهُ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بشَرٌ يتكلَّمُ في الغضبِ والرِّضا؟! فأمسَكْتُ عَنِ الكِتابِ، فذكَرْتُ ذلك لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأَوْمأَ بإِصْبَعِهِ إلى فِيهِ، فقال: اكتُبْ؛ فوالذي نفْسي بيدِهِ، ما يخرُجُ منه إلَّا حقٌّ.)

ثم سخّر الله سبحانه التابعين و تابعيهم إلى أن ظهرت المسانيد و الصحاح و المصنفات..كموطأ الإمام مالك و مسند الإمام أحمد ثم صحيحي البخاري و مسلم رحمهم الله جميعاً، و غيرها من الدواوين ..

و سخّر سبحانه المحدثين من التابعين و تابعيهم فاستقرأوا قواعد قبول الروايات و اصطلحوا عليها و وضعوا الضوابط و الشروط و ميزوا بين المقبول و المردود الآثار... و سخر المتقدمين منهم و المتأخرين فصفّوا الحديث مما ليس منه وسخّر بعض المعاصرين ممن خدموا كتب السنة و الحديث التي كانت لا تزال تحتاج إلى من يقربها للعامة و يميز صحيحها من ضعيفها.. و كل ذلك من حفظ الله سبحانه للسنة النبوية لمن يتأمل..

قال الحافظ ابن رجب في تفسيره : (فأقامَ اللهُ تعالى لحفظِ السُّنَّةِ أقواماً ميَّزوا ما دخلَ فيها من الكذبِ والوهم والغلطِ ، وضبطُوا ذلكَ غايةَ الضبطِ ، وحفظوه أشدَّ الحفظِ)

و قال ابن حجر - رحمه الله: (أوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الحديثَ ابنُ شهابٍ الزهري على رأسِ المائة بأمرِ عمرَ بنِ عبد العزيز، ثم كَثُرَ التَّدوين، ثم التَّصنيف، وحصل بذلك خيرٌ كثير فلله الحمد)

و أختم مقالي ببعض أقوال العلماء في شأن حفظ السنة:

- قال ابن حزم الظاهري : " فأخبر تعالى أن كلام نبيه صلى الله عليه وسلم كله وحي ، والوحي بلا خلاف ذكر ، والذكرُ محفوظ بنص القرآن. فصح بذلك أن كلامَه صلى الله عليه و سلم كلُّه محفوظ بحفظ الله عز وجل ، مضمونٌ لنا أنه لا يضيع منه شيء ، إذ ما حفظ الله تعالى فهو باليقين لا سبيل إلى أن يضيع منه شيء ، فهو منقول إلينا كله ".
وقال : " والذِّكْرُ اسم واقعٌ على كلِّ ما أنزل الله على نبيِّه : من قرآنٍ ، أو سُنَّةٍ ".
[الإحكام في أصول الأحكام 1/95-115]

- قال ابن القَيّم : " فَعُلِمَ أَنَّ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدِّينِ كُلِّهِ وَحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَكُلُّ وَحْيٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَهُوَ ذِكْرٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) فَالْكِتَابُ : الْقُرْآنُ ، وَالْحِكْمَةُ : السُّنَّةُ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ) ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أُوتِيَ السُّنَّةَ كَمَا أُوتِيَ الْكِتَابَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ ضَمِنَ حِفْظَ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ؛ لِيُقِيمَ بِهِ حُجَّتَهُ عَلَى الْعِبَادِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ". [مختصر الصواعق المرسلة (2/371)]

و في الختام

أسأل الله سبحانه أن يهدينا و يهدي أمة الإسلام لما اختلف فيه من الحق بإذنه أن الله يهدي من يشاء إى صراط مستقيم.

أبو يحيى عبدالحليم محمد عبدالحليم
شوال 1445 هـ